

العنوان:	تفاعل العمارة الدمشقية مع التراث المعماري
المصدر:	التراث العربي
الناشر:	اتحاد الكتاب العرب
المؤلف الرئيسي:	البهنسي، عفيف
المجلد/العدد:	مج 31, ع 129
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2013
الشهر:	ربيع
الصفحات:	247 - 249
رقم MD:	452994
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase, IslamicInfo
مواضيع:	التراث العربي، التراث المعماري، دمشق، العمارة الاسلامية
رابط:	<a href="http://search.mandumah.com/Record/452994">http://search.mandumah.com/Record/452994</a>

## تفاعل العمارة الدمشقية مع التراث المعماري

د. عفيف البهنسي\*

في هذا البحث سنقوم بجولة سريعة في مدينة دمشق نقف خلالها أمام المنشآت العامة التي تعدّ الأ نموذج الأكثر وضوحاً لتراث العمارة المحلية في تصاميمها المختلفة. وللحديث عن تفاعل هذه العمارة الدمشقية مع التراث المعماري الذي استمر شائعاً قرونًا طويلة، وبيان تحولاتها الحديثة.

### المدينة التراثية

تتألف مدينة دمشق من المدينة الحديثة التي تحيط بالمدينة التراثية وقد احتوت النظام العمراني التراثي والعمارة التراثية، ضمن حدود الأسوار مع امتدادها في الصاحلية والميدان.

لقد فرض مبدأ العمارة في بيئتها Architecture at home نفسه على تنظيم المدينة وبالعكس. وهكذا نرى المباني في الأحياء السكنية متراسة على بعضها، منكمشة على ذاتها، كما هي في الأزقة والحارات المتداخلة الضيقة. حيث يعتمد النظام العمراني مبدأ (التضام) أي تقارب مباني المدينة بعضها مع بعض بشكل متراس، لمنع تعرض الواجهات للعوامل الجوية، كما أن الاختلاف في ارتفاعات المباني سيؤدي إلى التخفيف من تأثير الشمس والرياح. وكان من نتيجة هذا المبدأ المتضام، أن ضاقت الشوارع وأصبحت مجرد حارات أو نهج ضيقة، تستوعب حركة الناس المشاة، ونادراً ما تستوعب مرور العربات إذ لم يكن يحسب بعد حساب الحافلات وحاجتها إلى الشوارع العريضة. ومن وجهة أخرى لعبت الطرق الضيقة والمتعرجة في المدينة القديمة دوراً في حماية السكان من العواصف الجوية، فهي تخترق الحرارة في الصيف وتحمي من البرودة والرياح في الشتاء.

\* مدير سابق الآثار والمتاحف.

## العمارة التراثية:

تتمثل جميع خصائص المسكن الدمشقي، في بناء قصر العظم ومازال بحالة سليمة كشف عن ملامحه الأساسية التي كانت عليه منذ إنشائه في العام ١٧٤٩ بإشراف والي دمشق أسعد باشا العظم.

ويتألف قصر العظم من خمسة أقسام، قسم المعيشة، وقسم الاستقبال، وقسم الخدم، وقسم مرآب العربات، والحمام. وندخل إلى القصر من باب واحد يؤدي إلى دهليز يتوزع في اتجاهين. واحد إلى قسم الاستقبال، والآخر إلى قسم المعيشة، ومنه إلى قسم الخدم والمطبخ والحمام. وتشكل الأفنية الثلاثة رئات مليئة بالأشجار والورود.

وإذا كان هذا البناء هو النموذج الأكبر لعمارة البيوت السكنية إلا أن البيوت الأخرى كانت مؤلفة من طابقين اثنين، ومن إيوان واحد يشرف على الفناء الداخلي، وفي طرفيه قاعتان ذات سقف مرتفع حتى مستوى الطابق الثاني.

وتختلف خصائص البيت السكني عن خصائص المساجد المؤلفة من حرم وصحن.

ومازال الجامع الأموي النموذج الأقدم لبناء المساجد، ثم جاء بعده الأسلوب الفاطمي ثم المملوكي وقد حافظا على أقسام البناء المسجدي (الحرم والصحن) وإن اختلف شكل المئذنة، والقبة، والزخرفة الداخلية، وكان للمئذنة المملوكية طرازها المتميز تمثل في مئذنة قايتباي في الجامع الأموي، ومئذنة القلعي، ومن أبرز المساجد التي أنشئت في العصر العثماني كان التكية السليمانية المؤلفة من مسجد ذي مئذنة وقبة وصحن محاط بحجرات مخصصة لطلاب التكية، ومن تكية صغرى ذات مصلى بدون مئذنة ومن صحن محاط بحجرات أيضاً.

وهذه التكية بقسميها، هي من تصميم المعمار العثماني الشهير سنان الذي أنشأ أولاً الخسروية في حلب، ولقد قام العطار الشامي بالإشراف على تنفيذ مخططات التكية السليمانية بدمشق في العام ١٥٢٠.

وتأثرت المساجد التي أنشئت في هذا العصر العثماني بهذا الأسلوب، دون أن ترقى إلي مستواه،

## التراث المعماري وشرط التكيف مع البيئة والمناخ:

لاشك أن المناخ الذي يميل إلى الحرارة والجفاف وهو السائد في منطقتنا تطلب طريقة معمارية تتكيف مع ظروفه، خدمة للإنسان سواء في الصيف حيث يحتاج الساكن إلى طريقة للتبريد يتجنب فيها تأثير الشمس والحرارة، فيسعي إلى تسريب تيارات الهواء. أو في فصل الشتاء حيث لابد الاحتفاظ بالمكتسب الحراري الذي توفر عن طريق التمتع الأقصى بحرارة الشمس، مع تقليل فقد الحرارة من المبنى.

وبصورة عامة سعي المعمار لتأمين التكيف الحراري والإضاءة والتهوية.

وكان لابد من البحث عن رئة خاصة بكل مسكن، وكان الحل في (الفناء الداخلي) لتأمين الانفتاح على نور الشمس، وعلى السكينة، ونقاء الحوار، في فضاء بعيد عن الضوضاء والتلوث، والتبدل الحراري.

تبدأ عملية التكيف الطبيعي بالفناء الداخلي، الذي يعد رئة المسكن فلقد تبين أن هذا الفناء، على الرغم من انفتاحه نحو الفضاء، يحقق حماية كاملة وعزلاً عن المناخ الخارجي وتأثيره الحراري وعن الهواء والرياح، والصوت والضوضاء والتلوث، ذلك إن الهواء الخارجي الحامل للحرارة والغبار، يحوم فوق الفناء دون أن يتسرب إلى العمق، ذلك بسبب عدم وجود منافذ تساعد على تحريك هذا التيار الهوائي وجذبه إلى الخارجي.

ثم إن الفناء وقد قام بوظيفة الرئة، ساعد على التمتع به من خلال الإيوان-المفتوح عليه، ومن خلال الزخارف الجدارية المحيطة به، ثم من خلال نباتات الزينة، من أشجار الليمون والكباد والنانرج والمانوليا والياسمين والورود.

ومن خلال البرك المائية التي يتدفق إليها الماء من خلال الصنابير والنوافير، فيساعد على ترطيب الهواء الجاف.

ولم تحفل دمشق بملاق الهواء(البادغير) التي تساعد على تهوية وتكييف البناء، وذلك بسبب المناخ المعتدل الذي لا يتوفر في مدن أخرى، مثل دبي وأصفهان، ولكن لابد من ذكر ميزات هذه الطريقة في التكيف الطبيعي الرخيص، والتي أهملت في الأبنية الحديثة لكي تحل محلها وسائل التكيف الاصطناعية والعالية الكلفة.